شعر

# قصائد من (رسائل عيد الميلاد)

تيد هيوز

طالع
أردت أن تدرسي
نجومك – حرّاس باحة
سجنك، طوالع الأبراج. الكواكب
تمتمت لغة سحرها البابليّة –
مثل عظْمات مشعوذ. كنت محقّةً
في خوفك من أن يعلو هدير العظام، من أن
تسمع الأذن بصفاء أكثر
ما همست به العظام
حتى وهي مبطّنة، كما هي، بالجسد الحارّ.

سوى أنك لم تكوني
بحاجة إلى أن تحسبي الدرجات
لنذيرٍ الصاعد في برج الحمل. لم يكن شيءٌ
مؤكداً ـ ليس أكثر، بحسب الكتب البابلية،
من وجه تزركشه النُدَب. إلي أيّ عمقٍ
أزيدَ تحت الجلد، يمكن لأيّ ساحرٍ
أن يختلس النظر؟

كان يكفيك أن تنظري
في أقرب وجه لأية كناية
تلتقطينه من دوًلاب ثيابكً، أو من صحنك
أو من الشمس أو القمر
أو من شجرة الطّقوس، لكي تري
أباك، أمّك، أو إيّاي أنا
نأتي بحتفك كاملاً إليكِ.

حكاية خرافية

تسعة وأربعون كان رقمك السحري.
تسعة وأربعون هذا.
تسعة وأربعون ذاك. ثمانية وأربعون باباً
كان يمكن فتحها في قصرك الشاهق.
ما إن كنت تذهبين، كل ليلة
حتى تكون لي ثماني وأربعون غرفة أختارُ بينها.
لكن التاسعة والأربعين ـ كنت تحتفظين بمفتاحها لنفسك.

سنفتحُ تلك، معاً، ذات يوم.

كنت تنطلقين، بلُهْبة شعرك المشتعلة
لتقفزي إلى الهاوية.
كلّ ليلة.
وكان عشيقك الغول الذي يتناقَهُ طول النهار
في جوف الموت، ينتظرك في مهْواهُ
تحت النجوم الواخزة.

وكان لي
ثمانية وأربعون مفتاحاً،
باباً، غرفةً، لألعب بها. غولك

المعبّأ في هيكل واحد من القودو،
كان زبدةَ كلّ عشّاقك السابقين،
لم تخبري حتى دفتر يومياتك السرّي
كم كانوا، من كانوا، أين، متى.
واحدٌ فقط كان يتوهج مثل برهان
بعيداً في الليل.
لكنني لم أنظر أبداً، لم أرَ أبداً
صورة شبهه هناك، تشتعل في دموعك
مثل شيء مكوَّن من قارّ.
مثل المصباح الليليّ لطفل نائم،
كان يواسي كونك.
وفي الأثناء، كان ذلك الغول
أكثرَ من كاف كأنك كنت في كلّ ليلة
تموتين لتكونيً معه، كأنك كنت تطيرين
إلى أحضان الموت. هكذا كانت لياليك.
في نهاراتك كنت تصغين إليّ
وعلى ثغرك ابتسامة أسردُ عليك أعاجيبَ
إحدى الغُرَف الثماني والأربعين.
كانت سعادتك تنعّم السرير.
حكايةٌ خرافيّة؟ بلى.

حتى يوم أن صرخت في نومك
(لا، لم أكن أنا، كما عنّ لك.
بل أنت). صرخت علّة حبّك لذلك الغول،
ضراعتك المعْولِة.

بشَعر جلّدهُ الصقيع، سمعتُها تصدّي
عبر أروقة قصرنا كلّها ـ
عالياً بين النسور. حتى سمعتها تضرب
على الباب التاسع والأربعين

كما قلبي على ضلوعي .
صوتٌ راعب .
كان يضربُ على ذلك الباب
مثل قلبي الذي يجاهدُ أن يخرج من جسدي .

في الليلة الأولى التالية ـ
بعد وثوبك لكي تجدي ثانيةً
تلكما الذراعين المشرعتين نحوك من الموتِ ـ
وجدتُ ذلك الباب .
فتحتُ الباب التاسع والأربعين
وقلبي يوجعُ أضلاعي
بسُويقة عشبة . لم تعرفي أبداً
أيّ مفتاح نافذ وجدتُ
في محضٍ عشَّبة .
ودخلتُ .

الغرفةُ التاسعة والأربعون
هاجت وماجت بزمجرة الغول
إذ اخترق الجدار
وغاص في هاويته . لمحتهُ
بينما أتعثر بجثّتك ، وسقطتُ معهُ
في هاويته .

حلم

أسوأُ أحلامك
تحقّق : تلك الرنّة على جرس الباب ـ
لا الصدفة البسيطة
الواحدة في بليون ، بل شهابٌ
نزل علينا من المدخنة

واسمنا مكتوبٌ عليه .

ليست الأحلام ، كنت قد قلت ،
بل النجوم الثابتة هي الّتي
تحكمُ حياةً ما .
عطش الكينونة الكاملة
الذي لا يرحم ، مثل نائمٍ يسحبُ الهواء
إلى رئتيه . كان عليك
أن ترفعي ، مقدار بوصَة ، غطاء التابوت .
في حلمك أم حلمي ؟ صُندوقُ بريد غريب .
أخذت منهَ المظروف . كانت
رسالةً مَن أبيك .
ءلقد أتيت . هل يمكنني أن أبيت معكم ؟»
لم أقل شيئاً .
فالطلبُ ، عندي ، كان أمراً .

ثم جاءت الكاتدرائية .
ءشارت» . كنّا قد ذهبنا إلى ءشارت»
بطريقة ما . لم تكن المرّة الأولى
بالنسبةً إليك .
لا أذكرُ شيئاً أكثر
من قارورة بريتونيّة . ملأتها
بكلّ ما نملكه . حتى الفرنَك الأخير .
قلت أن هذا من أجل أمّك .
أفرغَت أوكسجيننا
في تلكَ القارورة . ءشارت»
(لقد احتفظتُ بهذه البقايا)
تحلّقت حول وجهك ، طرحةً اسبانيّة
متفحّمة ، تشجيرة من الفحم ـ

مثلما بعد حريق عاصف ومثل راهبة
رعيت ما تخلّف من بقايا أبيك .
ساكبةَ حياتينا من تلك القارورة
في قهوَته الصباحيّة . ثم كسرتِها
شظايا ، خامات نجوم
وأعطيتها لأمّكَ .
ءولكَ أنتَ» قلت لي
ءالسماحُ بأن تتذكّر هذا الحلم . وفكّر به» .

حياة الحلم

كأنك كنت تهبطين في نومك كل ليلة
إلى قبر أبيك
تبدين خائفةً من أن تنظري ،
أو أن تتذكّري ما رأيته ، في الصباح التالي .
وعندما تتذكرين ،
فأحلامك عن بحر محتشد بالجثث ،
فظائع معسكرات ألموت ، مذابح جماعيّة .

كان يبدو ، أن نومك ضريحٌ دامٍ .
ورفاته المقدّس ،
ساقُ أبيك المبتورة ، المنخورة بالغنغرينة .
لا عجب أنك كنت ترهبين النوم .
لا عجب أنك كنت تستيقظين قائلةً :
ءلا أحلام» .

أيّة طقوس كانت تُتْلى
في ذلك القدّاس الليليّ ، ذلك المجْمع السريْ
حيث كنت أنت الكاهنة؟
هل كانت تلك القصائد

حطاماً ممّا أنقذته؟

كانت يقظة نهارك
أمناً منهوباً حاولت أن تتشبّثي به ـ
غير عارفة ما أرعبك
أو من أين يتبعك شعرك
بساقيه اللزجتين بالدم . َفي كل ليلة
كنت أنوّمك ، أهدهدك بالهدوء
بالشجاعة ، بالفهم ، بالسكينة .
هل أعانَك ذلك؟ في كلّ ليلة
كنت تهبطَين ثانيةً
إلى سرداب المعبد السرّي
ذلك الكهف الخاص ، الأوّلي
تحت القبّة العمومية لعبادة الأب .
كنت طوال الليل
تُطلّين غير واعية
على الصدْع حيثُ تستنشقين النبوءة
التي لا تنطق إلا بما هو مختومٌ من النتائج .

أعضاءٌ حقيقية تُبتر ،
دخانُ محرقة المستشفى ،
شحاذون بأطراف مجدوعةٍ في كرنفال ،
غرفة الغاز والفرن
لحرب الكاميرا ـ
كلّ هذا
كان البنيةَ التشريحيّة لإله نومك
بعينيه الزرقاوين ـ والألكترودات الساهرة
في صَدغَيك

تهيّىءُ له ءوليمة التكفير» .

الحياة بعد الموت

ماذا يمكنني أن أقوله لك
ممّا لا تعرفينه عن الحياة بَعد الموت؟

عينا إبنك، اللتان
أدهشنا شكلهما السلافيّ الآسيوي الأنيث
ولكن اللتين ستغدوان عينيك
بكلّ كمالهما فيما بعد،
صارتا جوهرتين بليلتين،
أصلبَ العناصر لأنقى الألم
بينما كنت أُطعمهُ في كرسيّه الأبيض العالي.
أيدي الأسى الكبيرة
كانت تعتصرُ خرقة وجهه الرطبة
مرّة بعد أخرى. تعتصرُ منه الدموع.
لكنّ فمه خانك ـ لقد تقبّل الملعقة
من يدي المفرَغة أنا
إذ مددتها، عبر الحياة التي بقيت بعدك، إليه.

أختهُ كانت تزداد شحوباً يوماً بعد يوم
بسبب الجرح الذي لا يمكنها أن تراهُ، أو تلمسه، أو تحسّهُ
بينما أضمّدهُ لها كلّ يوم
بسترتها البريتونية الزرقاء.

في الليل كنت أتمدّد يقظان في جسدي
أنا الرجلُ المشنوق
عصبُ رقبتي مقتلعٌ، والعضلة
التي تربط قاعدة جمجمتي
إلى كتفي اليسرى
مجتثةٌ من جذرها الكتفيّ
ومعقودةٌ بتشنّجاتها ـ تخيّلتُ ان الألم
كان يمكن له أن يُفسَّر
لو تدليّتُ بالروح

من صنّارة ما تحت عضلة عنقي .

كنا نحن الثلاثة
وقد طُرحنا خارج الحياة
في أسرّتنا السفريّة المنفصلة
نتشارك صمتنا العميق .
الذئابُ قدّمت لنا الراحة
تحت قمر شباط ذاك ، وتحت قمر آذار .
كانت حديقة الحيوان قد اقتربت منّا أكثر .
وبرغم المدينة
كانت تواسينا الذئاب . كانت تغني
في كلّ ليلة مرّتين أو ثلاثاً
لبضع دقائقٍ طويلة .
لقد وجدتْ مكان رقودنا .
وكلاب الدينغو ، والذئاب البرازيلية الأعراف ـ
كانت كلّها ترفع عقيرتها معاً
مع القطيع الرماديّ الآتي من الشمال .

كانت الذئاب ترفعنا في أصواتها الطويلة .
كانت تلفّنا وتوشجنا بنواحها
من أجلك ، في حدادها لنا ،
وتنسجنَا داخل أصواتها .
كنّا نرقد في موتك ، في الثلج
الذي تساقط ، وتحت الثلج المتساقط .

بينما كان جسدي يغرق في الحكاية
حيث تغني الذئاب في الغابة
من أجل طفلين
تحوّلا في نومهما إلى يتيمين
ينامان جنب أمّهما الميّتة .

ترجمة : سركون بولص